البحر

مـــا ســـألت البحـــر أو خاطبـــت فلكـــا ... قـــائلا : منـــك أنـــا أو أنـــا منكـــا
كيـــف يســـتمرئ هـــذا عاقـــل ... وجمـــاد جامـــد هـــذا وتلكـــا
مـــا لـــه يســـتجوب البحـــر ســـدى ... ليتـــه اســـتجوب قـــردا فهـــو أذكـــى
أتـــرى الســـائل جـــادا كـــان أم ... مازحـــا مســـتمزجا لهـــوا وضـــحكا
إن يكـــن جـــادا فهـــذا مضـــحك ... أو يكـــن يمـــزح فالمـــازح أبكـــى
لـــيس عـــذرا أن هـــذا شـــاعر ... ذو خيـــال ســـاحر ســـكبا وســـبكا
إنمـــا الشـــعر شـــعور غـــامر ... بجمـــال الله, لـــيس الشـــعر شـــكا
اســـأل البحـــر وســـل نجـــم الســـما ... ثـــم خـــذ مـــن هـــديها زورا وإفكـــا
غربـــل البحـــر ورمـــل البحـــر وال ... أرض واســـتقص الســـما طـــولا وســـمكا
عاقـــل يســـأل عـــن مصـــدره ... جامـــدا اســـطورة للهـــزل تحكـــى
إن ســـر الكـــون عقـــل خـــالق ... حلـــق الإنســـان كـــي يـــدرك ملكـــا
علـــم العاقـــل أن يحيـــا بـــه ... منـــذ أن مـــات فـــدى عنـــي وعنكـــا
لـــم أكـــن حوتـــا ولا قرشـــا ببحـــر ... لـــم يكـــن فـــي البحـــر لـــي أطـــلال جحـــر
لـــم أكـــن يومـــا عـــريس البحـــر أو ... كـــان لـــي فيـــه عـــروس قـــرب نحـــري
لا عـــروس البحـــر فـــي البحـــر ولا ... ســـحرتني بغنـــاء أو بســـحر
مـــا جـــرى بـــي فـــرس البحـــر ولا ... شـــالني فـــي البحـــر يومـــا ظهـــر مهـــر
لا ولا كنـــت غريـــب النـــوع مـــن ... ســـمك يســـبح فـــي أمـــواج نهـــر
ســـاعة أو نصـــفها أمضـــيت فـــي ... معـــرض الأســـماك لاحـــت نصـــف شـــهر
أمـــن المعقـــول أنـــي كنـــت فـــي ... البحـــر محكومـــا بـــأن أمضـــي دهـــري ؟
قصّـــة البحـــر وربـــي قصـــة ... عســـرة الهضـــم علـــى بطنـــي وظهـــري
قـــل هـــو الله برانـــي إنـــه ... لحـــق أجلـــى ألقـــا مـــن شـــمس ظهـــر
أنـــا خلـــق عـــارف معتـــرف ... بيـــد الخـــلاق فـــي ســـري جهـــري
أنـــا أدري فبـــديع الخلـــق ســـري ... كيـــف لا أدري بســـر طـــي صـــدري

الأصداف والرمل

إن يكـــن فـــي البحـــر أصـــداف ورمـــلُ ... أو يثـــب قـــي موجـــه بـــق وقمـــلُ
فأنـــا والحمـــد لله امـــرؤ ... لـــيس فيـــه غيـــر مـــا يحلـــو ويغلـــو
فـــي شـــعر كشـــعوري رائـــع ... وهـــو شـــعري أســـود ســـبل ودغـــل
الأطبـــاء جميعـــا فحصـــوا ... لـــيس عنـــدي فـــي الكلـــى بحـــص ورمـــل

أي تسويغ لربط البحر بي ... هل هو البحر على ظهري حمل
ما الذي يحدث لو وشاه ظل ... أيلم البحر والأحياء شمل ؟
أسيحيي البحر ظل وارف ؟ ... إنَّ هَمْلاً في كلا الحالين هَمْل
لا تنادي البحر لا روح به ... صمت البحر ولو ناداك نمل
لا يلم البحر بي في العقل حقل ... فأنا عقل وثقل وهو ثقل
إن قوما بلطوا البحر وما ... عرف البحر فما للبحر عقل
غير أن البحر يمضي عمره ... يصقل الرمل وما في الرمل صقل
إن هذا البحر لا عقل له ... لا ولا إيمان أو خلقا يجل
ولذا خالقه ذلله ... فهو للعاقل مخلوق أذل
ولذا يفنى واحيا خالذا ... هكذا قد حتم العدل الأجل
إن ربي قد حباني خلده ... حيث لا يوجد للبحر محل
إنه عدل وجود عجب ... دون حد ماله بعد وقبل
قادر لا مستحيل عنده ... ذو جلال بأسه نبل ونبل
هو ربي قاهر البعل الذي ... قهر اليم, ذراع الرب تعلو
وهو ربي وطئ الموت الذي ... وطئ البعل, فما بعل ونعل
كل رب قال شيئا وانطفا ... ولربي صانع التاريخ فعل
ما بقاء أو فنا لو كنت تدري ... لجماد غير شيء دون قدر
ما بقاء لجماد أو فنا ... وهو بالأمرين قطعا ليس يدري
إنما الباقي بعقل الله من ... هو منه مستنير مثل بدر
ينتهي البحر فلا عقل له ... أخو العقل سحيحا دون مدر
سيجف البحر يوم الله يمسح ... دمعي وأنا في خلد خدري
أنا أدري فبربي ضاء سري ... كيف لا أدري بسر طي صدري